

تراثُ البصرةِ الشَّعبيِّ وفاعلِيتهُ سرديًّا في رواية
(الدُّبابُ والزُّمردُ)

The Popular Heritage of Basra and its
Narrative Novel The Flies and the Emerald

م.د. أحمد مجيد شاكر البصام
جامعة الكوفة / كَلِيَّةُ التَّربِيَةِ الأَسَاسِيَّةِ

By

Dr. Ahmad Majeed Sh. Al-Bassam, Lecturer
Basic Education College, University of Kufa

ملخصُ البحث

يُعدُّ التُّراث من القيم الإنسانيَّة والوجوديَّة ذات الأثر الوجدانيِّ الكبير، فهو تعبير صادق عن نزعات الفرد وتطلُّعاته، ولقد كان لتعدُّد الديانات والمشارب الثقافيَّة في البصرة أثر كبير في تعدُّد تراثها؛ لذا فقد سعى الروائيُّ (عبد الكريم العبيديُّ) في روايته (الذُّباب والزَّمرد) إلى تتبُّع هذا التُّراث، وتوظيفه في روايته، الأمر الذي كان حافظاً لدراسة هذه الرِّواية، والسَّعي إلى رصد أنماط التُّراث البصريِّ فيها. بدأت دراستي بمدخل في مفهوم التُّراث وفاعليَّته في النِّصِّ الأدبيِّ، تلاه محوران، المحورُ الأوَّل: التُّراث الاجتماعيُّ والبيئيُّ، تعرَّضت فيه إلى العادات والتقاليد البصريَّة، وأماكن البصرة القديمة، وأسماء البصرة التُّراثيَّة، والمهن، والأحداث والوقائع، أمَّا المحور الثاني، فقد كان عنوانه (التُّراث الأدبيُّ)، درستُ فيه أمثال البصرة الشعبيَّة، والأساطير.

Abstract

Heritage is considered to be one of the human and existential values with noticeable emotional impact. It is an honest expression of the individual's tendencies and aspirations. The rich heritage of Basra has been the outcome of multi religious and cultural trends in the city. In his novel, The Flies and the Emerald (in Arabic), novelist Abdul Kareem Al-Ubaidi seeks to discern such heritage and employ it in his novel. The present paper has an introduction that tackles the concept of heritage and its efficacy in the literary text. Then follow two sections, the first deals with the social and environmental heritage. This section highlights Basra traditions and conventions, Basra old places, Basra traditional nominations, professions, events, etc. The second section is on the literary heritage where Basra popular proverbs and superstitions are studied.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد وآله الغر الميامين.

أما بعد:

يُعدُّ التَّراث من القيم الإنسانيَّة المهمَّة التي ما زال الأدباء والروائيُّون -تحديداً- ينهلون من نبعها في رواياتهم، فهو بصوره كَلِّها تعبير شفيف عن عواطف الإنسان وتطلُّعاته ومدى ثقافته، ولقد امتازت البصرة بتعدُّد أنماط تراثها وتنوعه؛ نظراً إلى تعدُّد الأعراق والديانات فيها؛ لذلك جاء تراثها ملوَّناً بألوان تلك التعدُّديَّات، وقد سعى الرَّوائيُّ (عبد الكريم العبيديُّ) في روايته (الذَّباب والزمرد) إلى تتبُّع هذا التَّراث وتوظيفه في روايته، مستثمراً ما لهذا التَّراث من أثر في نفوس البصريِّين، الأمر الذي حفَّزني على دراسة هذه الرواية ومحاوله رصد مظاهر التَّراث البصريِّ فيها، وقد جاءت الدِّراسة على محورين سبقهما مدخل في مفهوم التَّراث وفاعليَّته في النصِّ الأدبيِّ، المحور الأوَّل: التَّراث الاجتماعيِّ والبيئيِّ، درستُ في هذا المحور العادات والتقاليد البصريَّة، وأماكن البصرة القديمة، وأسماء البصرة التَّراثيَّة، والمهن، والأحداث والوقائع، أمَّا المحور الثاني، فقد كان عنوانه التَّراث الأدبيِّ، تعرَّضتُ فيه إلى دراسة أمثال

البصرة الشعبيّة، والأساطير، وانتهى البحث بجملته من النتائج تلتها قائمة بالمصادر والمراجع.

وأخيراً، أسأل المولى ﷺ أن يوفّقنا ويأخذ بأيدينا، وأن ينال هذا البحث المتواضع رضاه تعالى أولاً، ثمّ قبول القراء والباحثين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

مدخل: التّراث / مفهومه وفاعليته في النصّ الأدبيّ

تكاد تتفق أغلب معاجم اللّغة في أنّ « التّراث من ورث الشيء ورثاً، لكن الواو قلب ألفاً، فيقولون: إرث، فالترّاث هو أن يكون الشيء لقوم، ثمّ يصير إلى آخرين بحالٍ أو حسبٍ أو نسبٍ»^(١)، وجمعه آراث^(٢).
أمّا في الاصطلاح، فهو لا يبتعد في معناه عن المعجم، فهو يدلّ على كلّ «ما خلفه السّلف من آثار علميّة وفنيّة وأدبيّة، وما وصلنا من خبراتهم السّياسيّة والاجتماعيّة، وآفاق معرفيّة، وطرائق تعاملهم مع واقعهم...»^(٣)، فهو -وقتيّذ- رصد لما تراكم من الماضي من عادات وتقاليد وخبرات وتجارب وفنون لشعب من السّعوب^(٤)، وإذا كان الدّارسون متّفقين في انتهاء التّراث إلى الزّمن الماضي، فهم مختلفون في تحديد هذا الزّمن، فمنهم من يرى أنّ التّراث كلّ ما ورث تاريخيّاً^(٥)، أي: «كلّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السّائدة»^(٦)، في حين ذهب الفريق الآخر -وهذا ما اتّفق معه- إلى أنّ التّراث هو ما ورث من الزّمن الماضي سواء أكان بعيداً أم قريباً^(٧)، وأرى أنّ التّراث القريب أكثر التصاقاً بعاطفة الأُمّة ووجدانها؛ لأنّه تراث معيش عند أغلب أبنائها، أمّا التّراث البعيد

الذي يقترن بالحضارة، فمدارُه الاعتزاز بعرق أو بقومية أو بغيرها من الأمور. وللتراث عدّة صورٍ لعلَّ أهمُّها «الثقافية: كعلم الأدب، والتاريخ، واللغة، والدين، والجغرافية؛ والاجتماعية: كالعلاقات، والعادات والتقاليد؛ والمادية: كالعمران...»^(٨)، فضلاً عن الموروث السياسي المتمثل بخبرات السياسة وتجاربها المتوارثة من الأجيال السالفة.

أمَّا التراث الشعبيّ، فهو كلّ ما تصدره الغالبية العظمى من الشعب، فتعبّر فيه عن عواطفها وتطلّعاتها، ويعكس مستوياتها الثقافية^(٩). وللتراث الشعبيّ فوائد كثيرة تُثري النصّ، لعلَّ أهمُّها: أنّه يُعطي الأديب قدرة كبيرة في نقل رؤياه حيال الإنسان والوجود، وخصوصاً إذا كان هذا التوظيف توظيفاً واعياً ومقصوداً^(١٠)، زد على ذلك قدرته على شحن النصّ بطاقات عاطفية كبيرة؛ لأنّ معاني هذا التراث شاخصة ونامية في وجدان الناس وفكرهم^(١١)، فإذا ما أخذنا هذه الفوائد بالحسبان، عرفنا السبب في العلاقة المتينة بين التراث والأدب، فكُلّ أديب يقع تحت تأثيره وسلطانه سواء أفصح عن هذا التأثير في نتاجه أو تركه متوارياً في ضميره، فالتراث « ليس تركة جامدة، ولكنّه حياة متجدّدة»^(١٢)، لهذا السبب نعتّه (أليوت) بأنّه (ولاء أعمى)، حينما قال في معرض حديثه عن الموروث: «إنّ توريث السالف للخالف، ويعني به التأثير بما توارث من عادات وتقاليد وأمثال عن طريق النقل من جيلٍ لآخر بولاء أعمى»^(١٣)، لذلك صار للتراث هذه القيمة العليا في النصّ الأدبيّ، فهو في أغلبه معادل موضوعي لما يريد إيصاله الأديب للمتلقّي.

أولاً / التّراث الاجتماعيّ والبيئيّ

يُعدّ التّراث الاجتماعيّ والبيئيّ من أهمّ مظاهر التّراث القديمة؛ لأنّ هذا التّراث باقٍ ببقاء المجتمعات.

إنّ للبيئة أثراً كبيراً في تحديد هذا التّراث وتشكيله؛ لأنّ من البديهيّ أن يكون للبيئة أثرها في تشكيل طبائع ساكنيها، وتحديد هويّتهم التي يتميّزون بها عن غيرهم^(١٤)، وسنسعى في هذا المطلب إلى رصد أهمّ صور التّراث الاجتماعيّ والبيئيّ في البصرة التي وردت في رواية (الذباب والزمرّد) من العادات والتقاليد البصريّة، وأماكن البصرة التّراثيّة، وأسماء البصرة القديمة، والمهن القديمة، والأحداث والوقائع التي شهدتها البصرة.

١- العادات والتقاليد

تمثّل العادات والتقاليد أهمّ مصاديق التّراث الاجتماعيّ، وتُعرّف بأنّها «مجموعة من الأفعال والممارسات التي تعارفها الناس حتّى صارت مُلزمة»^(١٥)، فهي - وقتئذٍ - «كلّ أسلوب متكرّر يُكتسب اجتماعياً، ويُتعلّم اجتماعياً، ويُمارَس اجتماعياً، ويُتوارث اجتماعياً»^(١٦)؛ لذا صارت هذه الأفعال والممارسات المتكرّرة بمنزلة القواعد والأسس المجتمعيّة التي قد يؤدّي خرقها إلى الصّدّام مع رأي أبناء هذا المجتمع^(١٧)، وتكمن العلاقة بين هذا التّراث والأدب في توظيف الأديب للتّراث من خلال الجمع بين جدليّة الماضي والحاضر^(١٨)، علاوة على شعوره بالمسؤوليّة في الحفاظ على هذه الرّموز من خلال هذا التوظيف.

يوظّف الرّاوي في إحدى نصوصه ما اصطلح عليه البصريّون بـ(أيّام البشير)،

وهي الأيام التي تشهد ابتداء نضوج الرّطب، التي كان البصريّون يستبشرون بها؛ إذ يقول مخاطباً صديقه: « في تلك اللّيلة يا بشير ظللت تنهل من ذكريات قديمة مدوّنة بدفترك الأنيق، وكان أوّل ما أثارك منها هو يوم مولدك في أحد أصباح أيّام البشير...»^(١٩)، فالرّاوي يُصرّح بأنّ الولادة في مثل هذا اليوم هي مدعاة للإثارة والفرح، وفي موضع آخر يصوّر الرّاوي مدى أهمّيّة هذا اليوم في نفوس البصريّين؛ إذ يقول: « لمح فلاح عجوز كان عائداً من الصّلاة في المسجد رطبة صفراء لاهثة من بين سعف نخلة سامقة في بستان جدك، وقف الفلاح قبالة صفرة الرّطبة التي أسرته ليتأكّد تماماً أنّه يقف قبالة البشير... وضع الحبة اللاهثة على جبهته وعينه وخده، ثمّ قبلها كثيراً، وبعدها نزل مسرعاً بقفزات مرتبكة أدمت ساعديه...»^(٢٠)، فواضح هنا مدى السّرور الذي غمر قلب هذا الفلاح حتّى أنّه نزل مسرعاً من النّخلة لينقل هذه البشري إلى أصحاب البستان، وقد نقل لنا الرّاوي واحدة من العادات والتقاليد البصريّة المتمثّلة بتقبيل هذه الرّطبة الصّفراء ووضعها على الجبين، وفي هذا تبرز واحدة من أهمّ سمات العادات والتقاليد ومزاياها المتمثّلة بالجمع بين الشيء العجيب الخارج عن نطاق العقل والمنطق، وبين الشيء الصّادق البريء الذي يُمثّل الفطرة السّليمة^(٢١)، فهي عادات توارثها الآباء من الأجداد، والأحفاد من الآباء، لا تخرج في أغلبها من منطقة النوايا الطيّبة البعيدة عن التكلّف والتصنّع الاجتماعيّ.

وفي إحدى المواضع ينقل لنا الرّاوي ما اعتاد عليه البصريّون في أعياد النوروز؛ إذ اعتادوا على قضاء هذا العيد على ضفاف شطّ العرب، وقد تعارفوا على تسميته بـ(الكسلة)، يقول: «كان مثل ذلك الطقس غالباً ما يُمهّد للحوار

عن يهود البصرة وذكريات آبائنا عنهم...، وكان شفيق أكثرنا تحمساً لسرد الكثير من مزاياهم وخدماتهم، وكثيراً ما كان يُردّد أنّهم ليسوا صهاينة، بل عراقيين بصاروة يعشقون... الكسلة...»^(٢٢)، فالرّاي في إيراد هذا التقليد (الكسلة) كان بمنزلة الدليل على أنّ يهود البصرة هم عراقيون؛ لأنّهم قد اعتادوا على هذه الممارسة البصريّة المتوارثة.

إنّ العادات والتقاليد لا تتمثّل في الممارسات الشعبيّة فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى التجلّي من خلال عبارات متوارثة^(٢٣)، مثال ذلك نطالعه في النصّ الآتي: «أصوات صاحبة كان يسمعها من قرب أبواب بيوت الجيران تطرد الأرواح الشريرة، متداخلة مع ما كانت تردّه العجائز وربّات البيوت من أمنية يتيمة غير مستجابة دائماً: أخذ النحس ويّاك والخير جاي وراك...»^(٢٤)، فقد وظّف الرّاي في هذه المقولة الشعبيّة المتوارثة في بيان ما اعتادت نساء البصرة صنعه عند انتهاء شهر صفر، إذ كنّ يحطّمن الأواني مع ترديدهنّ لهذه المقولة، إيماناً منهنّ بأنّ هذه العادة أو هذا التقليد كفيل بدفع الشرّ وجلب الخير.

فباد لنا ممّا سبق أهميّة هذا النمط من التّراث في داخل النصوص الإبداعية، فهي رموز مشحونة بالطاقات التعبيريّة والدلاليّة وغنيّة بالمعاني^(٢٥)، حتّى باتت من أهمّ المغريات التي تُغري المبدع إلى رصدّها وتوظيفها في نصوصه.

٢- الأماكن

تعدّ الأماكن القديمة واحدة من صور التّراث التي ما انفكّ الأدباء من توظيفها في نصوصهم، لما لها من قيمة دلاليّة كبيرة، فهي -عادةً- ما تحيل على

أفكار ورؤى وأيديولوجيات يسعى الكاتب لبورتها، ومن هنا صار المكان التراثي « قضية أساسية يطرح من خلالها الروائي جملة من الأسئلة والمشكلات التي تتعلق براهن الإنسان، وحاضره المعيش»^(٢٦)، ويتّصف المكان التراثي بأنه مكان هجره أهله، وقد عبث به يد الزمن؛ لذا فإنه يكون -في الغالب- أشبه بالخرابات الموحشة^(٢٧)، وقد وظّف الروائي (عبد الكريم العبيدي) في هذه الرواية عدّة أماكن تراثية، وإنّ اللّافت للنظر أنّ هذه الأماكن كانت -في أغلبها- أماكن معادية للشخصية الراوية، فهي تُرى في هذه الأماكن بأتمها مكن للفقر والتشرّد والموت، وهذه المشاعر السلبية -عادةً- هي من أهمّ مزايا هذا النمط من المكان الروائي^(٢٨)، فمن الأماكن التراثية التي تعرّض لها الكاتب هو (سوق المغايز)، وقد وصفه الراوي، قائلاً: « دخلنا سوق المغايز، ولم يصدمنّا الإحساس بدخولنا إلى مقبرة لا تختلف كثيراً عن مقبرة اليهود، لا شيء فيه عدا الظلام والصّمت، وخشخشة النفايات التي نسير عليها يذكّرنا بجلبته، وبرائحة البهارات والكاربي الهندي، وأضواء المغايز العامرة بالملابس المستوردة، المحالّ من حولنا كانت مغلقة كأنها قبور، والإعلانات القديمة أو المحطّمة بدت وكأنّها شواهد... اجتزنا مقبرة المغايز...»^(٢٩)، فالراوي يُشبه هذا السوق بالمقبرة، حتّى أنّه قد سمّاه بـ(مقبرة المغايز)، وأنّ الإعلانات كانت بمثابة الشواهد التي توضع على القبور، وقد لجأ بطريقة فنيّة عالية إلى عقد مقارنة بين هذا السوق في ماضيه وحاضره بما يتوافر فيه أنياً، فخشخشة النفايات ذكّرتّه بجلبته ورواده والمتبصّعين فيه فيما مضى، وأنّ الظلام ذكّره بأضوائه العامرة. إنّ هذا التعاطي للتراث في الأدب هو من أهمّ مزاياه التي تتمثّل بالجمع والمقارنة بين الماضي والحاضر^(٣٠).

ومن الأماكن التراثية البصرية الأخر التي وردت في هذه الرواية هي (مقبرة اليهود)، فقد كانت هذه المقبرة القديمة المكان الذي يختلي فيه الراوي مع أصدقائه؛ إذ يقول: «لم يعد لنا أمل عدا سهرة... داخل مقبرة اليهود في منطقة السعدونية بالمشراق...»^(٣١)، وحتى هذا المكان الذي يفترض فيه أن يكون محبوباً لدى الراوي، إلا أنه كان يجد فيه مكاناً معادياً، فلتأمل هذا النص الذي يكشف لنا عن هذه المشاعر السلبية بوضوح «موسيقى الموت في البصرة من صنع يهودي، ظلت تهدر ليلاً من مقبرتهم في السعدونية لما يقرب من قرن، أنغام تشبه أنين العظام والجماجم...»^(٣٢)، فإن مشاعر الشخصية إزاء هذا المكان واضحة، فهي ترى أن هذا المكان مكن للموت ومبعث للفناء، وقد صرح الراوي عن مشاعره السلبية هذه حيال البصرة بشكل مباشر بعيداً عن المواربة والتأويل؛ إذ يخاطب أباه، قائلاً: «لكن عشيقتك هذه يا أبي هي ليست بصرتنا التي ترعرعنا في بؤسها وحروبها وحصارها، هذه بصرتك أنت، عشيقتك لوحذك، بصرة ذاكرتك العتيقة...»^(٣٣)، فهو يصرح بأن هذه البصرة هي ليست مدينته، بل مدينة أبيه والأجيال المتقدمة، الذين ما زالوا متمسكين فيها بما علق بذاكرتهم من أحداث طيبة وحياة هائلة.

٣- أسماء البصرة القديمة

لقد تعددت أسماء البصرة القديمة، حتى ذكر لها المؤرخون أكثر من عشرة أسماء، وما يعيننا في هذا المقام هو توظيف الكاتب في روايته للاسم الآرامي للبصرة وهو (بصرياثة)؛ فقد أطلق الآراميون على البصرة اسم (بيث بصرياثة)،

أي: (بيت الأكوخ)، ومن ثمَّ تحوّل هذا الاسم بتقادم الزمن إلى (باصريي)، و(باصورا)، و(باصرا)^(٣٤)، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ (بصريا) هي «اسم لأحد الأنهار التي تحمل الماء إلى البصرة...»^(٣٥)، وقد وردت هذه الأسماء في الرواية في عدة مواضع، وفي هذه المواضع كلّها يُشير الرّاي صراحة إلى عراقه مدينته (البصرة)، وأنها تحترق منذ ذلك العصر إلى هذا اليوم؛ إذ يصف مدينته بوصف شعريّ، قائلاً: « هكذا تنزل النّهايات صاعقة في باصورا، ولا شيء يستحقّ الدّمعة السّاذجة من عينين مرمدتين، ولا دمعة تراها تكفي، فهذه المدينة تحترق بلا نيران ولا دخان؛ كونها رأس إبليس بصريا... التي لها تاريخ طويل من الحرائق الصّامته... تتهاوى أجمل ذكرياتها القديمة في تنور القحط بلا ضجيج، وهي تحمل أبهة صورها الأخاذة، وتتهشّم برود دونما ندم...»^(٣٦)، لقد عرض الرّاي بتكثيف كبير تاريخ هذه المدينة وما شهدته من صراعات سياسيّة وتقلّبات اجتماعيّة أطاحت بها، وقد لجأ إلى شعريّة التعبير في مناجاته هذه؛ لأنّ من أهداف لجوء الرّواية - بشكل عام - إلى الشّعريّة هو تكثيف الدلالات والمعاني^(٣٧)، ويقول أيضاً - باللّغة الشعريّة ذاتها -: «حرائقك التي بلا دخان كحرائق باصورا ونيران بشير التّمار، ولكن تبقى بينهما فاتورة التردّد تزداد، ممّا يجعل اشتياقي في ذلك البعد المطّاط ينشطر إلى حنينين مشلولين لا نبض لهما، عدا ما أدركه فيكما من وجود محسوس يصدّ انجذابي العاثر إليكما، ويُسعرنى دائماً بالغثيان»^(٣٨)، فقد لجأ الرّاي مرّة أخرى إلى تصوير احتراق هذه المدينة منذ القدم، وقد انتقل بفنّيّة عالية وعفويّة كبيرة إلى المقارنة بين حرائق (باصورا) وحرائق أصدقائه، فإنّهم أبناء هذه المدينة التي يراها الرّاي محترقة منذ الأزل.

٤- الشخصيات البصرية

لقد تعارف الأدباء على إيراد أسماء الشخصيات التراثية التي تركت في نفوس الناس ووجدانهم أثراً كبيراً^(٣٩)، ولقد ألّف البصريون أسماء كثيرة وكبيرة على مختلف الأصعدة الاجتماعية والفنية والأدبية^(٤٠)، وأن الأديب في تعاطيه لهذه الشخصيات في نصّه الأدبي يختلف عن المؤرّخ، فإذا كان المؤرّخ منشغلاً بالأسماء التاريخية بوصفها حقائق واقعة، فإنّ المبدع يوردها لغرض الرمز والإشارة بما يُضيفه عليها من ذاته وأحاسيسه^(٤١)؛ لذا فإنّ الشخصيات التراثية التي ترد في الأعمال السردية تكون -غالباً- شخصيات مرجعية، وهذه الشخصية هي شخصية واقعية، ولكنها هامشية على صعيد القصّ، يلجأ إليها الراوي ليعبّر من خلالها عما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس ورؤى، لما تحمله هذه الشخصيات من أبعاد أيديولوجية وثقافات متعدّدة^(٤٢)، وترد هذه الشخصيات التراثية بأنماط متعدّدة، أهمّها^(٤٣): الشخصيات الاجتماعية، والشخصيات الفنية، والشخصيات الأدبية.

أ/ الشخصيات الاجتماعية

لقد لجأ العبيديّ إلى إيراد عدّة شخصيات بصرية قديمة في روايته، ولم يخرج في مجملها عن توظيفه لما تحمله من محمولات دلالية رام إثراء نصّه من خلالها، فلنقرأ: «ابتسم البياتي وهزّ رأسه مرّة أخرى، وراح يحدّق في عدد من الساعات القديمة المعلقة في بسطته، ثمّ تحدّث بصوتٍ أعهدّه من قبل: قد تستطيع إصلاح كلّ آلات الزّمن هذه وتجعلها أضبط من أبي جواد كاظم أبو الصاروك، لكنك

لم تتمکّن مثلي من إصلاح زمنك، ستفشل، ستفشل...»^(٤٤)، لقد أورد الراوي هنا اسم (كاظم أبو الصاروك) وهو من شخصيات البصرة القديمة الذي عرفه الناس بدقته للوقت ومعرفته الكبيرة فيه^(٤٥)، ومن هنا تبرز الثيمة المهمة في هذا النص؛ إذ اشتغل الروائي على تباين الفرق بين الزمنين الماضي والحاضر، فالبياي يقولها للراوي وبصراحة تامة: (لن تتمکّن مثلي من إصلاح زمنك)، أي: إنك وإن حاولت إصلاح زمنك هذا، فإن مصيرك الفشل.

وفي موضع آخر يربط الراوي بين الزمنين مصرحاً بقوله: (فيما مضى)؛ إذ يقول: «لن يأتي الصيف مرة أخرى ومعه الصبور والزبيدي... كان فيما مضى، فيما مضى يا شنكر لال الهندي، وحفظي، وكاظم أبو الصاروك، وزرزور أبو الحب، ومالو الأطرش، وتومان العبد...، أين البصرة الآن؟ من منا تصدى لإخفائها؟»^(٤٦)، فقد استعان الراوي بهذه الشخصيات التراثية البصرية المشهورة^(٤٧) لبيّن الفرق بين الأمس الذي ذهب بخيراته بذهاب أهله، وبين اليوم، فبصرة اليوم تختلف عن بصرة الأمس، وواضح هنا أن هذه الشخصيات وإن كانت هامشية - بالنسبة إلى شخصيات الرواية الأخرى - إلا أن حضورها يخلق نوعاً من التوتر الكفيل بالتأثير في المتلقي^(٤٨)، وفي هذا تتحقق أهمّ دواعي الخلق الأدبي، وهي: التأثر والتأثير.

ب/ الشخصيات الأدبية

تعدّ الشخصيات الأدبية واحدة من أهمّ مصاديق التراث، فعلاوة على بعدها التاريخي، فهي تحمل في طياتها البعد الثقافي للبلد الذي تنتمي إليه، ما جعل هذا

النمط من الموروث محطّ عناية الأدباء على مختلف مشاربهم. وفي رواية (الذباب والزمرد) يجدُّ الراوي الرّبط من خلال هذه الشّخصيّات التّراثيّة بين الماضي والحاضر، فلنتأمّل هذا النصّ: « كم مرّة أبديت إعجابك بدادو سيزائي، وعزرا يامين، وصالح حسّقل، وزعمت أنّهم أشهر الأدباء اليهود... لكن عشيقتك هذه يا أبي هي ليست بصرتنا... هذه بصرتك أنت، عشيقتك لوحداك، بصره ذاكرتك العتيقة... عسى أن تصدّق لمرة واحدة أنّ بصرتك ضاعت وهجرت...»^(٤٩)، إنّ (دادو سيزائي، وعزرا يامين، وصالح حسّقل) من أشهر أدباء البصرة اليهود^(٥٠)، وظّفهم الراوي ليصنع من خلال هذا التوظيف صورة تبرز من خلالها ملامح البصرة بين الأمس واليوم، وكأنّ هذه الأسماء التّراثيّة أضحت أيقونة وعلامة مميّزة للسلام والتعايش، حتّى أنّ الراوي لجأ إلى تعبيرات رام من خلالها إيصال رؤيته للمتلقّي؛ إذ استعمل الضمائر في (بصرتنا - بصرتك)؛ لترسيخ هذه الرؤية في ذهن المتلقّي.

ه- المهنة

تعدّ المهنة صورة حيّة وناضجة من صور التّراث الشعبي، فإنّ لكلّ مدينة من المدن مهنة التي ألفها أهلها، ولقد امتازت البصرة بأنّها مدينة النخيل والتمور، الأمر الذي جعل أغلب مهنة القديمة تختصّ بهذا الميدان، ولقد لجأ العبيديّ في غير موضعٍ إلى توظيف هذه المهنة، مثل: (الكأصوص، والجرداغ، والطواشات، و... إلخ)^(٥١)، وهي محاولة منه للتأثير في المتلقّي وشدّ انتباهه للحدث، فلنتأمّل وصفه (للكأصوص) وفعاليّات النّاس « في تلك التّهارات الجميلة كانت كلّ

أسرة تتحلّق حول إحدى أشجار النّخيل، وتظلّ رؤوس أفرادها ترتفع ببطء مع ارتفاع أبصارهم المشدودة إلى الكأصوص الصاعد بقفزات متوالية وسريعة باتجاه موضع العثوق في أعلى النّخلة، وكان كلّما قصّ عثقا ربطه بحبل وأنزله إلى الأرض، فتتلقّفه الأيدي بفرح...»^(٥٢)، وفي موضع آخر يصف (الطواشات) وهنّ يمارسن عملهنّ داخل (الجرداغ)؛ إذ يقول: «كنتُ أزور جرداغنا الكبير الذي آل إلى أبي بعد وفاة جدّي، أزوره كضيفٍ شدّه الفضول لمشاهدة الطواشات وهنّ يفشقنّ التمر بالسكاكين مع نساء القرى القريبة، كنتُ طفلاً مدللاً ابن مالك جرداغ...»^(٥٣)، فقد سعى الراوي في هذا المقطع إلى كشف اللثام عن تراث مدينته من خلال عرضه لهذه المهن القديمة، وقد أجاد في صنيعه هذا خصوصاً في لجوئه إلى الاسترجاع الخارجيّ المتمثّل في تذكّر طفولته، وتمثّل أهميّة هذا الاسترجاع في «الكشف عن وعي الذات الساردة بالزّمن في ضوء تجربة الحاضر...»^(٥٤)، وهذا الوعي بين الزّمنين يُعدّ الثّيمة الأساسيّة التي بُنيت عليها رواية العبيديّ محلّ البحث.

٦- الأحداث والوقائع

تُعدّ أحداث التاريخ ووقائعه من أهمّ صور التّراث في المجتمعات، وإنّ العلاقة بين هذه الأحداث والفنّ علاقة طردية، فكلمًا تعدّدت الأحداث والوقائع في تراث مدينة ما زاد تحفيز المبدع للغوص فيها ورصدها وتوظيفها في نصوصه الإبداعية^(٥٥)، ولقد وظّف الروائيون نمطين من الأحداث والوقائع في رواياتهم «أولهما أحداث السّقوط التي وُظّفت لتأكيد استمرار الماضي في الحاضر،

وثانيهما الفترات الإيجابية التي وُظفت بهدف المقارنة بين الماضي والحاضر، واستعادة الماضي المجيد، واستبداله بالحاضر القاتم^(٥٦)؛ وفي كلا النمطين، فإن وظيفة الأحداث والوقائع في الرواية تتجلى في ربط الحاضر بالماضي في سبيل إنماء الحدث وتقريبه إلى ذهن المتلقي ووجدانه.

وقد وُظف العبيدي في روايته أحداثاً وعدة وقائع، من أهمها واقعة (عزرة ونحمة)، وهي من أحداث البصرة المهمة التي تم فيها تهجير أغلب يهود البصرة بين عامي (١٩٤٩-١٩٥٠م)^(٥٧)؛ إذ يقول لأبيه: «مثلما رويت لنا عن عملية عزرة ونحمة، وهجرة غالبية جيرانك وأحبابك من اليهود، فعليك أن تُصغي لضياعنا وخرابنا، وما حل بنا من دمار وحروب وقحط، عسى أن تصدق لمرّة واحدة أنّ بصرتك ضاعت وهُجرت بألف عزرة ونحمة...»^(٥٨)، فهذا الحديث يُمثل حديث جيلين من أجيال البصرة، الأول يرى أنّ بصرته هي بصرة الأُمس وهي ما زالت بخير، أمّا الثاني، فهو يرى أنّ البصرة اليوم قد ضاعت وخرّبت، وهي الصورة التي رام إيصالها للجيل السابق من خلال مخاطبته بما يعي ويفهم، محرّكاً مشاعره بذكر هذه الأحداث والوقائع المهمة في حياته.

وفي موضع آخر يوظف الراوي حادثة (الفرهود) التي وقعت عام (١٩٤١م)، حينما تعرّضت أموال اليهود وأملاكهم إلى النهب والسرقة^(٥٩)؛ إذ يقول: «مثل ذلك الطقس غالباً ما يُمهّد للحوار عن يهود البصرة وذكريات آبائنا عنهم، وما رووه عن الحرائق التي شبت بمحالمهم التجارية، وعن (الفرهود)...»^(٦٠)، فالراوي وإن كان يروي التقاءه بأصدقائه، إلا أنه يُصرّح بأن سرد هذه الوقائع

التاريخية هي من قِبَل آبائهم، وفي هذا -أيضاً- إشارة إلى الخلاف بين الأجيال عن الواقع المعيش.

ثانياً/ التراث الأدبي

يُمثّل التراث الأدبيّ واحداً من مصادر ثقافة الأديب التي ترفده بالطاقات التعبيرية، وترفد -كذلك- معجمه وصوره من خلال ارتباط تجربة الحاضر بتجارب الماضي؛ لذا فقد دأب الروائيون منذ عصر الريادة وإلى يومنا هذا على سبر غور التراث الأدبيّ في تجاربهم الروائية مستثمرين ما لهذا الموروث من قيم دلالية وأساليب فنيّة وحكم بليغة.

إنّ الأديب حينما يسعى لتقديم حدث ما أو منظور معيّن من خلال نصّ محدّد فإنّ هذا النصّ لا يصير خلقاً إبداعياً جديداً تماماً؛ لأنّ النصّ -والحال هذه- «ليس ذاتاً مستقلة أو مادة موحّدة، ولكنّه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى...»^(٦١)، وبمعنى آخر: إنّ المبدع بشكل عام لم يكتب تجاربه الإنسانية من فراغ، وإنّما هو يرتكز على تراث أدبيّ ضخم يشمل الشّعْر والثر، ينهل من هذا التراث ما يناسب تطلّعاته الإنسانية والفنيّة والتعبيرية^(٦٢)؛ لذا فقد أفاد الأدباء من هذا التراث ووظّفوه في نصوصهم، لكي تزداد هذه النصوص عمقاً من خلال استنطاق الدلالات الإنسانية والفكريّة التي يحملها هذا النمط من التراث^(٦٣)، ولقد لجأ عبد الكريم العبيديّ في روايته إلى استثمار هذه الطاقات الدلالية والإنسانية من التراث الأدبيّ، وتحديدًا الأمثال الشعبيّة، والأساطير والحكايات.

١- الأمثال الشعبية

هي ضرب من الأدب ذاع بين الناس؛ لسهولة حفظه وكثرة ترديده على ألسنتهم.

وتمتاز الأمثال -عموماً- بـ «إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية»^(٦٤)، والمثل الشعبي يُمثل خلاصة التراث، بما يحمله من تجارب الشعوب وخبراتها وما لاقته في مسيرتها؛ لذا صار هذا النمط من الأدب تعبيراً عن الحياة وواقع الإنسان ومجتمعه^(٦٥)، وإن هذه العلاقة الوثيقة بين المثل الشعبي والإنسان جعلته لا يقف عند حدود الإبداع الفني وحسب، بل تجاوزه ليصبح صوراً وعقلاً وتفكيراً ملامساً جوهر الوجدان الشعبي وذاكرته^(٦٦)، زد على ذلك أن المثل الشعبي يرتبط بعلاقة متينة بالفنون السردية من قصة ورواية؛ لأنه يحمل بين طياته بُعداً سردياً يُمثل في واحدة من تجلياته «خلاصة حكاية قيلت أو حادثة وقعت في وقتٍ من الأوقات، فذهبتُ وبقيَ المثل رمزاً لتلك الحكاية، أو موجزاً لحوادثها...»^(٦٧)؛ لذا -وبناءً على ما تقدّم- صار المثل إشارة إلى قصة «مرسومة بكلمات معبرة موجزة يؤتى بها غالباً لتقريب ما يُضرب له عن طريق الاستعارة أو الكناية أو التشبيه»^(٦٨)، ومن هنا صار الروائي يوظف المثل في حكايته إذا ورد حدث له شبهٌ بحدث المثل أو ثيمته الأساسية، مستثمراً «الللمحة القصيرة الدالة، تاركاً لذهن القارئ ربط المثل بالقصة...»^(٦٩)، وهذا عينه ما لجأ إليه عبد الكريم العبيدي وهو يروي لنا أحداثاً اجتماعية بصرية، لاسيما وأن البصريين قد امتازوا بولعهم بأمثالهم الشعبية وحفظهم لها، فلا يكاد البصري يتحدث حتى يُضمن حديثه هذا بالأمثال الشعبية البصرية المعروفة^(٧٠)، فمن الأمثال البصرية الشعبية

التي وظّفها العبيديّ، قولهم: «الشاص شاص والحمل حمل»، فإنّ هذا المثل يُضرب للدلالة على أنّ الحياة شبيهة بالنّخل، فيها ما هو مثمر وذو نفع وفائدة، وفيها ما هو بلا فائدة^(٧١)، يوظّف العبيديّ هذا المثل على لسان الراوي: «هذا هو شارع وطننا الجميل، نشاهده للمرّة الأولى بتلك الأوضاع المزرية... كنّا نلهو وبلا رقيب بفرجة العصور الوسطى وببطلها الوحيد: الهلاك... وحين انتبهنا إلى ما آل بنا ابتسم أحدنا للآخر ورحنا نردّد معاً وكأنّنا بغبغاوان: «الشاص شاص والحمل حمل»، ثمّ طأطأنا أعناقنا ومشينا صامتين، كأنّنا في مسيرة جنائزيّة»^(٧٢)، فلقد استثمر الراوي ثيمة هذا المثل وهو بصدّد تضيق زاوية رؤياه حيال ما حلّ ببلده من خراب، وإذا كان القدر قد شاء هذا (الهلاك)، فإنّه وهبهم هذه الصّداقة الجميلة والمتينة، حتّى أمّهم تبسّما حينما أدركا هذه الحقيقة، وراحا يردّدان هذا المثل، وفي هذا تبرز واحدة من وظائف الأمثال المهمّة، فهي تعمل على شدّ انتباه القارئ، الذي يدفعه - هذا الانتباه - إلى التأمّل وربط المثل بالحدث^(٧٣).

ومن الأمثال الأخر التي وظّفها العبيديّ في روايته، قولهم: «ما بيع طوكي والبشير يلوح»، فالبشير هو صفرة التمر في النّخل في مراحل نضجه الأولى، فهو مثل يُضرب للمرأة التي تصبّر نفسها بهذا البشير من أن تباع عزّتها في سبيل لقمة العيش^(٧٤)، فلتأمل النّصّ الآتي من الرواية: «قرّرت أن أسعى مرّة أخرى عسى أن يعينني ربّي على إيجاد عمل أكسب منه الرّزق الحلال وأحافظ على ما تبقي من كتبي الثمينة...؛ لذلك قرّرت أن أجرب حظّي العاثر في البيع مرّة أخرى لأحبي أهزوجة جدّي العجوز: «ما بيع طوكي والبشير يلوح»، ولأمسح آثار خبيتي السّابقة في تجربة بيع الورود...»^(٧٥)، فالراوي في إيّاده هذا المثل إنّما يتأمّل

خيراً في مهنته الجديدة التي قرن بينها وبين (البشير)، كما قرن بينه وبين جدته العجوز، بمعنى أنه أخذ من جدته العظة والعبرة، وهذه واحدة من أهم وظائف الأمثال؛ إذ تختزل بين طياتها خبرات الأجيال السالفة وتجاربهم، لتصير بمنزلة الدرس للأجيال اللاحقة^(٧٦)، وهذا الفهم ذو محمولات دلالية أعمق تتمثل في أن الراوي وإن كان سوداويّاً في رؤيته إلا أنه يرى في داخله أملاً يلوح في الأفق، والقرينة على هذا الفهم هو جمعه بين مهنته الجديدة والبشير الذي يُمثّل عند الفلاحين أيقونة للرّزق والخير الوفير.

٢- الأساطير

تُعدّ الأسطورة واحدة من أهمّ مظاهر التّراث، وهي في أبسط صورها شكلاً من أشكال القصص الخرافية الموروثة^(٧٧)، وقد اختلف الدارسون في قيمتها الفنيّة والفكريّة، فمنهم من رآها تكشف عن فقر فكريّ، ومنهم من وجد فيها عمقاً في تفكير تلك العصور من حيث الشاعريّة والخيال^(٧٨)، ولكنها تبقى «مادّة تراثية صيغت في عصور الإنسانيّة الأولى، وعبر بها الإنسان عن تلك الظروف الخاصّة عن فكره ومشاعره اتجاه الوجود، فاختلط فيها الواقع بالخيال، وامتزجت معطيات الحواسّ والفكر واللاشعور...»^(٧٩)، هذا التعبير الإنسانيّ الذي اتّسمت به الأسطورة جعلها بمنزلة الرّباط الذي يجمع الإنسان بالوجود، وهذا ما يعلّل مزجها العلم بالخرافة والواقع بالخيال^(٨٠)، وهذا ما جعل العلاقة بين الرواية والأسطورة علاقة متينة، علاوة على قدرتها على «استيعابها تجارب عصريّة معقّدة بشكل فنيّ فريد يُبعد الفنّان عن تكرار الأشكال التقليديّة،

وهي من ناحية أخرى تكشف عن تشابه غريب بين موقف الإنسان القديم والحديث من الحياة، وكأنَّ الإنسان الحديث يواجه الحياة بنفس الرؤية التي واجهها بها الإنسان القديم^(٨١)، لذلك سعى الأديب في بناء عالمه الآني المتخيَّل إلى «الأسطورة يحاكيها، يتنفس سحرها، يستلهمها، يوظفها، يُعيد بناء العالم الذي ينشده بكلمات طقوسها»^(٨٢)، على أن توظيفهم للأساطير في حدِّ ذاته «رموز تحمل دلالة تطلق شحنة شعوريَّة في التجربة الحديثة، وهي في النهاية تضمين يراد به استحضار الدلالة القديمة بعد تهيئة الوسائل اللازمة في موضعها الجديد»^(٨٣)، فهي - حينئذ - الآليَّة التي يقترن فيها الحاضر بالماضي عند حدث دعا إلى هذا الاستحضار.

وقد وظف العبيديّ في روايته - وأكثر من مرّة - أسطورة (البصرة وإبليس)، خلاصة هذه الأسطورة هو أن الله تعالى حينما غضب على إبليس أمره بالهبوط إلى أرض البصرة^(٨٤)، فلتأمل النصّ الآتي من الرواية: «تحترق هذه المدينة بلا نيران ولا دخان، فتاريخها الطويل كان يحترق بصمت دائماً، إنّها رأس إبليس، بصريّا التي لا يعرف أسرارها إلا السّابقون... شاهدتها أمس من داخل سوق الجمعة وهي تحترق، تتهاوى أجمل ذكرياتها القديمة في تنور القحط بلا ضجيج...»^(٨٥)، لقد استعان الرّاوي بهذه الأسطورة لبيان ما حلّ في بلده من خراب، وهو خراب عبّر عنه بلغة شعريَّة تدلّ على مدى انفعاله إزاء ما يشاهده من خراب، وقد عملت الأسطورة في هذا الموضع على ربط الماضي البعيد بالوقت الرّاهن، وفي هذا تتحقّق واحدة من أهمّ وظائفها الفنيَّة والأيدولوجيَّة^(٨٦)، فالرّاوي بعد أن ينتهي من عرضه لهذه الأسطورة، يُعرِّج قائلاً وبعفويَّة فنيَّة عالية: «شاهدتها

أمس»، وهي محاولة لشدّ انتباه القارئ ودعوته للتأمل بتاريخ هذه المدينة وحاضرها، وهذا ما يعلّل استعماله لاسمها القديم (بصرياثةا). وفي موضعٍ آخر يقول: « هكذا تنزل النهايات صاعقة في «باصورا»...، فهذه المدينة تحترق بلا نيران ولا دخان؛ كونها رأس إبليس، بصرياثةا... التي لها تاريخ طويل من الحرائق الصّامته، شاهدها قبالة بؤابة مستشفى البصرة الجمهوري وهي تحترق، تتهاوى أجمل ذكرياتها القديمة في تنور القحط بلا ضجيج، وهي تحمل أبهة صورها الأخاذة، وتتهشم ببرود دونها ندم»^(٨٧)، فقد لجأ الراوي مجدداً إلى هذه الأسطورة بوصفها معادلاً موضوعياً لرؤيته حيال ما حلّ بمدينته من خراب، وجليّ هنا استعماله لأسماء البصرة القديمة (بصرياثةا، وباصورا) وهو يعرض لأسطوره هذه، ولكنه إذا ما انتقل لسرده الآني استعمال اسمها المتعارف عليه (البصرة).

الخاتمة

بعد هذه القراءة في رواية (الذباب والزمرّد) ورصد القيم التراثية فيها توصلت البحث إلى جملة من النتائج، أهمّها:

١- إنّ التراث -عموماً- ذو قيمة عليا وفاعلية كبيرة في جسد النصّ الأدبيّ بشكل عام، والسرديّ بشكل خاصّ، فهو يربط الماضي بالحاضر لضرورة يتطلّبها الحدث الذي يقف عنده الراوي.

٢- إنّ التراث يهب النصّ الأدبيّ طاقات عاطفية؛ لأنّ تراث الشعوب نامياً في ضمايرها، ما يساعد في دفع جدلية التآثر والتأثير، التي تُعدّ عماد أيّ إبداع فنيّ.

٣- تمثّل العادات والتقاليد واحدة من أهمّ مظاهر التراث الاجتماعيّ، لذلك سعى عبد الكريم العبيديّ إلى توظيف ما اتّسمت به البصرة من عادات متوارثة في روايته، مستثمراً ما تحمله من أبعاد أيديولوجية وفنية، سعياً منه في إثراء نصّه السرديّ.

٤- تمتاز البصرة بتعدّد أمكنتها التراثية التي ما زالت شاخصة قائمة إلى يومنا هذا، ما دفع بالعبيديّ إلى توظيف هذه الأمكنة وهو يكتب رواية بصرية بشخصياتها وأحداثها ورؤاها، وقد كانت هذه الأمكنة في هذه الرواية أماكن معادية تتسم بأنّها أماكن موحشة مهجورة، فالراوي كان يسعى إلى الربط

والمقارنة بين هذه الأمكنة تاريخياً وآنياً، ليثبت أن الماضي كان زاهراً وهو أفضل من الحاضر المعيش، الحاضر الذي عاث بهذه الأماكن خراباً.

٥- استثمر العبيدي أسماء البصرة القديمة في محاولة منه لإثبات عراقه مدينته وقدمها.

٦- اتسمت البصرة تراثياً برجالها الذين اشتهروا في تلك الأزمنة الماضية على مختلف الأصعدة الفنيّة والأدبيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، فسعى الراوي إلى هذه الأسماء متخذاً منها رموزاً وهو بصدد تقديم منظوره حيال واقع البصرة، وقد كانت هذه الشخصيات -في مجملها- في هذه الرواية شخصيات مرجعية حاول الراوي من خلالها التعبير عما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس ورؤى.

٧- أورد العبيدي في روايته المهن البصريّة القديمة، وخصوصاً ما يتعلّق بزراعة النخيل؛ لأنّها من أبرز المهن التي ألفها البصريون.

٨- تُعدّ الأحداث والوقائع التاريخيّة من صور التّراث المهمّة، وقد لجأ العبيديّ إلى هذا النمط من التّراث، فأورد جملة من الأحداث التاريخيّة للبصرة، التي رأى فيها عوناً في تقديم منظوره حيال مدينته، فضلاً عن أثرها في نفس المتلقّي وما تبعه فيه من جذب وإقناع.

٩- يُعدّ التّراث الأدبيّ والفنيّ واحداً من أهمّ أنماط التّراث التي تعمل على ربط الحاضر بالماضي، لذلك لجأ إليها عبد الكريم العبيديّ موظّفاً ما تحمله من قيم فنيّة تُثري نصّه السردّي، فأورد الأمثال والأساطير البصريّة.

والحمد لله ربّ العالمين

الهوامش

- ١- معجم مقاييس اللغة: مادة (ورث).
- ٢- يُنظر: لسان العرب: مادة (أرث).
- ٣- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ص ٢٨١.
- ٤- يُنظر: المعجم الأدبي، جِبَّور عبد النَّور: ص ٦٣.
- ٥- يُنظر: نظرية التراث، د. فهمي جدعان: ص ١٦.
- ٦- التراث والتجديد، د. حسن حنفي: ص ١١.
- ٧- يُنظر: التراث والحداثة، د. محمد عابد الجابري: ص ٤٥.
- ٨- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، د. محمد رياض وتار: ص ٢٣.
- ٩- يُنظر: دراسات عن ملاً عبود الكرخي، زاهد محمد: ص ٢٥، ويُنظر: الشعر الشعبي العربي، حسين الصَّفَّار: ص ١٠.
- ١٠- أثر التراث في الرواية العراقية الحديثة، صبري مسلم حمادي: ص ١٥.
- ١١- يُنظر: قضية الشعر الجديد، محمد النويهي: ص ٢٢.
- ١٢- قراءة جديدة في شعرنا القديم، صلاح عبد الصبور: ص ٥.
- ١٣- مقالات في طبيعة الشعر، ت. س. أليوت، ترجمة: إحسان عباس: ص ٧٣.
- ١٤- يُنظر: الفروسية في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي: ص ٥٤.
- ١٥- المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري، أسماء صابر، أطروحة دكتوراه: ص ١٣٥.
- ١٦- السحر والمجتمع، دراسة بصرية وبحث ميداني، سامية حسن الساعاتي: ص ١٥٥.
- ١٧- يُنظر: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، د. نبيلة إبراهيم: ص ٢٨.
- ١٨- يُنظر: الغابة والفصول، طراد الكبيسي: ص ١٧٤.
- ١٩- اللباب والزمرّد، عبد الكريم العبيدي: ص ٥٤.

- ٢٠- المصدر نفسه: ص ٥٥.
- ٢١- يُنظر: أشكال التعبير في الأدب الشعبي: ص ٢٨.
- ٢٢- الذباب والزمرد: ص ٨٨ - ٨٩.
- ٢٣- يُنظر: صورة المرأة في المعتقدات الشعبية، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، سعيدة حمزاوي: ص ٢٢.
- ٢٤- الذباب والزمرد: ص ٥٠.
- ٢٥- يُنظر: الموروث الشعبي في شعر الرواد، نافع حماد السامرائي، رسالة ماجستير: ص ١٦٣.
- ٢٦- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة: ص ٢٣١.
- ٢٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٣٢.
- ٢٨- يُنظر: الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر، د. إبراهيم جنداري: ص ٢٤٠.
- ٢٩- الذباب والزمرد: ص ١٩.
- ٣٠- الغابة والفصول: ص ١٧٤.
- ٣١- الذباب والزمرد: ص ١٨.
- ٣٢- المصدر نفسه: ص ٨٤.
- ٣٣- المصدر نفسه: ص ٨٠، ويُنظر على هذه الشاكلة -أيضاً-: الومبي، ص ١١؛ والتنومة، ص ١٧؛ وسوق الجمعة، ص ٢٦ - ٢٧؛ وشارع التنانير، ص ٦١.
- ٣٤- يُنظر: مباحث عراقية، يعقوب سر كيس: ١٣٦/٤، ويُنظر: من مشاهير أعلام البصرة، د. عبد الحسين المبارك، ود. عبد الجبار ناجي الياسري: ص ٩، ويُنظر: البصرة في الشعر العراقي المعاصر من (١٩٤٥ - ١٩٨٠م)، د. صدام فهد الأسدي: ص ١٢.
- ٣٥- جمهرة المراجع البغدادية، كوركيس عواد، وعبد الحميد العلوجي: ص ٢٤.
- ٣٦- الذباب والزمرد: ص ٣٦.
- ٣٧- يُنظر: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ص ٦٣.
- ٣٨- الذباب والزمرد: ص ٦٥ - ٦٦.
- ٣٩- يُنظر: الشعر والتاريخ، د. نوري حمودي القيسي: ص ٥٠.

- ٤٠- يُنظر: البصرة في الشعر العراقي المعاصر: ص ٩٧.
- ٤١- يُنظر: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ص ٨٠.
- ٤٢- يُنظر: شعرية السرد وسيميائيته، عبير حسن علام: ص ٦٥.
- ٤٣- يُنظر: شعرية الخطاب السردية، محمد عزّام: ص ١١.
- ٤٤- الذباب والزمرد: ص ٣٤.
- ٤٥- يُنظر: البصرة وصورة الأمس، رزاق عبّود، مقال على الشبكة الدولية للاتصالات (الإنترنت) www.gilgamish.org
- ٤٦- الذباب والزمرد: ص ٦٠-٦١.
- ٤٧- هذه الشخصيات هي شخصيات بصرية اجتماعية قديمة، فلال الهندي هو صاحب مطبعة (التايمس)، التي تُعدّ من أقدم مطابع البصرة، أمّا زرزور أبو الحبّ، فهو من أقدم بائعي المكسرات في البصرة، أمّا تومان العبد، فقد كان مهرّجاً مشهوراً آنذاك، يُنظر: البصرة وصورة الأمس.
- ٤٨- يُنظر: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، سعيد شوقي محمد: ص ١٥٣.
- ٤٩- الذباب والزمرد: ص ٧٩-٨٠.
- ٥٠- يُنظر: المثقفون العراقيون اليهود قبل التهجير، كاظم حبيب، مقال على موقع الحوار المتمدّن، الشبكة الدولية للاتصال (الإنترنت) www.ahewar.org
- ٥١- تُعدّ هذه المهن من أشهر مهن البصرة التراثية التي تختصّ بالتمور والنخيل، فالكاصوص هو الذي يمتهن جني عثوق التمر وقصّها وإنزالها من على أعلى النخلة؛ والجر داغ هو المكان الذي تكبس فيه التمور؛ والطواشات هنّ النساء اللاتي يقمن إلى البصرة للعمل في الجرادغ في موسم جني التمور، يُنظر: البصرة مدينة المواسم العاطلة، طالب عبد العزيز، صحيفة المدى، بغداد، ع ٣١٤٨، ٢٠١٤م: ص ٣.
- ٥٢- الذباب والزمرد: ص ٥٦.
- ٥٣- المصدر نفسه: ص ٥٦-٥٧.
- ٦٤- شعرية السرد في الرواية العراقية (٢٠١٠-٢٠١٥م)، أحمد مجيد البصام، أطروحة دكتوراه: ص ١٥١.
- ٥٥- يُنظر: البصرة في الشعر العراقي المعاصر: ص ٤٤.

- ٥٦- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة: ص ١٣٧.
- ٥٧- يُنظر: العراق التائه بين الطائفية والقومية، محمود الشناوي: ص ١٩٨.
- ٥٨- الذباب والزمرد: ص ٨٠.
- ٥٩- يُنظر: فاجعة فراهود اليهود وحركة رشيد عالي الكيلاني عام (١٩٤١م)، نبيل عبد الأمير الربيعي، مقال على موقع الحوار المتمدن، الشبكة الدولية للاتصال (الإنترنت) www.m.ahewar.org.
- ٦٠- الذباب والزمرد: ص ٨٨.
- ٦١- الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، د. عبد الله محمد الغدامي: ص ٢٢١.
- ٦٢- يُنظر: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، عبد الحميد حميدة: ص ٧٨.
- ٦٣- يُنظر: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ص ٦٤.
- ٦٤- مجمع الأمثال، للميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ٦/١.
- ٦٥- يُنظر: الأمثال البغدادية، جلال حنفي: ص ٩.
- ٦٦- يُنظر: أثر التراث الشعبي في الأدب المسرحي الثري في مصر، د. فائق مصطفى أحمد: ص ٤٣٨.
- ٦٧- الأمثال البغدادية: ص ٣٠.
- ٦٨- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصّغير: ص ٦٢.
- ٦٩- أبو تمام ثقافته من خلال شعره، إبتسام مرهون الصّفار: ص ٣٦.
- ٧٠- يُنظر: الأمثال الشعبية في البصرة، عبد اللطيف الدليشي: ٣/١.
- ٧١- يُنظر: أمثال ومعانيها، مقال أدبي منشور على موقع مجتمع شط العرب الإلكتروني shatelarab.com
- ٧٢- الذباب والزمرد: ص ١٨.
- ٧٣- يُنظر: أبو تمام ثقافته من خلال شعره: ص ٣٦.
- ٧٤- يُنظر: التمر العراقي يروي سيرة خراب البصرة، علي محمود خضير، مقال منشور على موقع العربي السفير الإلكتروني arabi.assafir.com

- ٧٥- الذباب والزمرد: ص ٢٧ - ٢٨ .
- ٧٦- يُنظر: الأمثال البغدادية: ص ٩ .
- ٧٧- يُنظر: أثر التراث في الرواية العراقية الحديثة: ص ٢٣ .
- ٧٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٣ .
- ٧٩- الأسطورة في الشعر العربي الحديث، د. أنس داود: ص ١٢ .
- ٨٠- يُنظر: الأسطورة في شعر السيّاب، عبد الرضا عليّ: ص ١٩ .
- ٨١- أثر التراث الشعبيّ في الرواية العراقية الحديثة: ص ٢٥ .
- ٨٢- الأسطورة في شعر السيّاب: ص ٢٨ .
- ٨٣- الشعر العربيّ المعاصر، قضاياها وظواهره الفنّية والمعنوية، د. عزّ الدين إسماعيل:
ص ١٩١ .
- ٨٤- يُنظر: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم الحيدريّ
البغداديّ: ص ١٨٦ .
- ٨٥- الذباب والزمرد: ص ٣١ .
- ٨٦- يُنظر: أثر التراث الشعبيّ في الرواية العراقية الحديثة: ص ٢٥ .
- ٨٧- الذباب والزمرد: ص ٣٦ .

المصادر والمراجع

- ١- أبو تمام ثقافته من خلال شعره، إبتسام مرهون الصقار، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.
- ٢- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، عبد الحميد حميدة، مؤسسة نوفل للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ٣- أثر التراث الشعبي في الأدب المسرحي الثري في مصر، د.فائق مصطفى أحمد، دار الرشيد، بغداد، ط١.
- ٤- أثر التراث في الرواية العراقية الحديثة، صبري مسلم حمادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ٥- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، د.علي حداد، دار الحرّية، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٦- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث، عليّ عشري زايد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ٧- الأسطورة في الشعر العربي الحديث، د.أنس داود، مطبعة البيان العربي، القاهرة.
- ٨- الأسطورة في شعر السيّاب، عبد الرضا عليّ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٩- أشكال التعبير في الأدب الشعبي، د.نبيلة إبراهيم، مصر، ط٢، ١٩٧٤م.
- ١٠- الأمثال البغدادية، جلال حنفي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م.
- ١١- الأمثال الشعبية في البصرة، عبد اللطيف الدليشي، مطبعة دار التضامن، بغداد.
- ١٢- أمثال ومعانيها، مقال أدبي منشور على موقع مجتمع شط العرب الإلكتروني shatelarab.com
- ١٣- البصرة في الشعر العراقي المعاصر من (١٩٤٥ - ١٩٨٠م)، د.صدّام فهد الأسدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

- ١٤- البصرة مدينة المواسم العاطلة، طالب عبد العزيز، صحيفة المدى، بغداد، ع٣١٤٨ع، ٢٠١٤م.
- ١٥- البصرة وصورة الأمس، رزاق عبّود، مقال على الشبكة الدوليّة للاتصالات (الإنترنت) www.gilgamish.org
- ١٦- بنية النصّ الروائيّ، إبراهيم خليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٧- التّراث والتجديد، د.حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- ١٨- التّراث والحداثة، د.محمد عابد الجابريّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ١٩- التمر العراقيّ يروي سيرة خراب البصرة، عليّ محمود خضير، مقال منشور على موقع العربيّ السّفير الإلكترونيّ arabi.assafir.com
- ٢٠- توظيف التّراث في الرواية العربيّة المعاصرة، د.محمد رياض وتار، إتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٢م.
- ٢١- توظيف التّراث في روايات نجيب محفوظ، سعيد شوقي محمد، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٢٢- جمهرة المراجع البغداديّة، كوركيس عوّاد، وعبد الحميد العلوجي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٦٢م.
- ٢٣- الخطيئة والتكفير، من البنيويّة إلى التشرحيّة، قراءة نقدية لنموذج إنسانيّ معاصر، د.عبد الله محمد الغدّاميّ، كتاب النادي الأدبيّ الثقافيّ، جدّة، ط١، ١٩٨٥م.
- ٢٤- دراسات عن ملا عبّود الكرخيّ، زاهد محمد، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٧١م.
- ٢٥- الذّباب والزمرد، عبد الكريم العبيديّ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- ٢٦- السّحر والمجتمع، دراسة بصريّة وبحث ميدانيّ، سامية حسن السّاعاتي، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- ٢٧- الشّعر الشعبيّ العربيّ، حسين الصّفّار، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ١٩٨٢م.

- ٢٨- الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
- ٢٩- الشعر والتاريخ، د. نوري حمودي القيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٣٠- شعرية الخطاب السردية، محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق: ٢٠٠٥م.
- ٣١- شعرية السرد في الرواية العراقية (٢٠١٠-٢٠١٥م)، أحمد مجيد البصّام، أطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.
- ٣٢- شعرية السرد وسميائته، عير حسن علام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط٢، ٢٠١٢م.
- ٣٣- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصّغير، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٣٤- صورة المرأة في المعتقدات الشعبية، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، سعيده حمزاوي، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦م.
- ٣٥- العراق التائه بين الطائفية والقومية، محمود الشناوي، دار هلا للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١٠م.
- ٣٦- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم الحيدري البغدادي، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣٧- الغابة والفصول، طراد الكبيسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م.
- ٣٨- فاجعة فرهود اليهود وحركة رشيد عالي الكيلاني عام (١٩٤١م)، نبيل عبد الأمير الربيعي، مقال على موقع الحوار المتمدّن، الشبكة الدولية للاتصال (الإنترنت) www.m.ahewar.org.
- ٣٩- الفروسية في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٤م.
- ٤٠- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.
- ٤١- قراءة جديدة في شعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ط٣،

- ١٩٨١م.
- ٤٢- قضية الشعر الجديد، محمد النويبي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٧١م.
- ٤٣- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
- ٤٤- مباحث عراقية، يعقوب سركيس، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٨م.
- ٤٥- المثقفون العراقيون اليهود قبل التهجير، كاظم حبيب، مقال على موقع الحوار المتمدّن، الشبكة الدولية للاتصال (الإنترنت) www.ahewar.org
- ٤٦- مجمع الأمثال، لأبي الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد، الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٥٩م.
- ٤٧- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٤٨- المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري، أساء صابر، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٣م.
- ٤٩- المعجم الأدبي، جبور عبد التور، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- ٥٠- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.
- ٥١- مقالات في طبيعة الشعر، ت. س. أليوت، ترجمة: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٥م.
- ٥٢- من مشاهير أعلام البصرة، د. عبد الحسين المبارك، ود. عبد الجبار ناجي الياسري، منشورات مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، ١٩٨٣م.
- ٥٣- الموروث الشعبي في شعر الرواد، نافع حماد السامرائي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤م.
- ٥٤- نظرية التراث، د. فهمي جدعان، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٨٥م.